قاسم

وإذا كُنْتَ لم تَرَ الهلال فَسَلِّمْ لأناسٍ رأوه بِالأبْصَـــــارِ

أبرز الرموز الواردة فى فصل « قاسم » ومعانيها :

م	الرمز	معناه
١	قاسم	محمد ﷺ
٢	قمر	خديجة رضى الله عنها
٣	إحسان	فاطمة رضى الله عنها
٤	زكريا	أبو طالب عم النبى ﷺ
٥	حسن	علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه
٦	صادق	أبو بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه
٧	بدرية	عائشة بنت أبى بكر وزوج النبى ﷺ
٨	يحيى	ورقة بن نوفل
٩	قنديل	جبريل عليه السلام
١٠	الجرابيع	العرب قبل الإسلام والمسلمون بعد الإسلام
١١	سوارس	أبو جهل أو أبو لهب عليهما لعنة الله

obeikandi.com

قاسم
توطئة

إن « قاسم » فى « أولاد حارتنا » لهو محمد بن عبد الله خاتم الرُّسُل صلى الله عليه وسلم ، كما كان أدهم هو آدم ، وجبل هو موسى ورفاعة هو عيسى ، عليهم - جميعاً صلوات الله وتسليماته ، والكاتبون - قديماً وحديثاً - حين يكتبون عن سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - يبدأون بمقدمة - طالت أم قصرت - ينوهون فيها بفضل العرب - قوم النبى - وشرف نسبهم ، وكرم أرومتهم . والخصائص التى كانت سبباً فى اختيار الرسول الخاتم منهم .

ثم يتحدثون عن النسب النبوى الشريف الطاهر ، من جهة أبيه - عبد الله - حتى يصلوا به إلى عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم شيخ الأنبياء ، وأبى العرب والمسلمين .

ثم من جهة أُمه - آمنة بنت وهب - من ولد زُهرة سيد قومه فى حياته ، ويبينون طهارة نسبه الشريف من كل الجهات ، وفى كل الطبقات ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - اصطفاه الله من خير القرون ، ومن خير القبائل ، ومن البيوتات على وجه الأرض لم يسبقه مثيل ، ولا لحقه شبيه ، فهو النموذج « الفذ » ، والإنسان الكامل من بين جميع بنى الإنسان .

وتحدُّثاً بنعمة الله - لا فخراً ولا استعلاء - وردت عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث - بعضها فى الصحاح - تبيِّن كرم معدنه ، وطيب محتده ، وزكاوة أصله .

فهذا واثلة بن الأسقع يقول :

« قال رسول الله ﷺ : إن الله عَزَّ وجَلَّ اصطفى بنى كنانة من بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » (١) .

وهذا محمد بن على يقول :

إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عَزَّ وجَلَّ اختار ، فاختار العرب ، ثم اختار منهم كنانة ، ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بنى هاشم ، ثم اختارنى من بنى هاشم » (٢) .

وهذا المطلب بن أبى وداعة يقول :

قال رسول الله ﷺ : من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فى فرقتين ، فجعلنى فى خير فرقة ، وجعلهم قبائل ، فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلنى فى خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » (٣) .

وهذا أبو هريرة يقول :

إن رسول الله ﷺ قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم ، قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذى بعثت فيه » (٤) .

وقال : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (٤) ، فرسول الله لم يكن له مثيل فى البَشر على الإطلاق ، وكفاه ثناء قول الحق فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥) .

---

(١) رواه مسلم فى الصحيح .
(٢) دلائل النبوة للبيهقى : ١/ ١٧٠
(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .
(٤) رواهما الإمام البخارى .
(٥) القلم : ٤

هذا ، وقد أقرَّ له بالشرف وعلو الشأن ألدُّ أعدائه - قريش - وهم فى أتون الخصومة الحاقدة عليه :

ففى الحوار الطويل الذى دار بين هِرَقْل - عظيم الروم - وبين وفد لقريش برأسه أبو سفيان قبل إسلامه ، سأل هرقل الوفد القرشى عن النبى الذى ظهر فيهم فقال :

« كيف هو فيكم » ؟ فأجاب أبو سفيان نائباً عن الوفد : « هو فينا ذو حسب » ، فقال هِرَقْل : « فكذلك الرُّسُل تُرسل فى أحساب قومها » أى أعلاهم فضلاً ، وأشرفهم نسباً وحسباً ، هذا هو محمد بن عبد الله خاتم رُسُل الله ، وها هم العرب قومه وأهله شريحة علياً بين الناس ، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - هو ذروة سنامها ، وقمرها المنير ، وسراجها الوهَّاج ، وشمسها الساطعة .

وكانت حياته قبل البعثة مثلاً فريداً ، وطرازاً ليس له مثيل : حُسْن فى الخلق ، وصدق فى القول ، وأمانة فى الفعل ، وبراءة فى الذِّمَّة ، ورجاحة فى العقل ، فلم يسَعْ المجتمع الذى عاصره إلا أن يُطلق عليه « الصادق الأمين » .

* *

● **افتراءات « أولاد حارتنا » :**

كان هدفنا من هذه السطور التى كتبناها آنفاً ، أن نبين بادئ ذى بدء الفروق الهائلة بين ما كتبه الأُستاذ نجيب محفوظ - المسلم - عن العرب - قوم خاتم الرُّسُل - وبين الواقع المعروف للعرب من فضل ومجد ، الذى أشرنا إليه إشارات سريعة ، لقد هضم المؤلف العرب ، وهضم معهم تلك المنزلة العليا لصاحب الدعوة الخاتمة ، حقَّرهم وشوَّه سمعتهم هم وحدهم . ولم يعاملهم معاملة آل حمدان أو آل جبل (اليهود) ، ولا معاملة آل رفاعة أو الرفاعيين -

النصارى - وكأن بينه وبين العرب والمسلمين ثأراً موجعاً ، فتعال نقرأ ما قاله فيهم :

● **الجرابيع :**

« البيت الكبير ما زال قابعاً وراء أسواره ، غارقاً فى الصمت ، والذكريات ، وإلى اليمين بيت الناظر ، وإلى اليسار بيت الفتوة ، ثم يجئ حى جبل - أى اليهود - ويليه حى رفاعة وسط الحارة - أى النصارى - أما بقية الحارة فكانت مُقام من لا صفة لهم ، ولا نسب ؟ أو الجرابيع كما كانوا يدعونهم ، وهم أتعس أهل الحارة ، وأضيعهم » (١) .

هذا وصف هندسى جغرافى لحارة الأُستاذ نجيب محفوظ الأديب الكبير المسلم ، وفيه يصف العرب - كما ترى - بأنهم جرابيع لا صفة لهم ولا نسب ؟ وكأنهم « لُقطاء » ، وأنهم أتعس أهل الحارة - أى الدنيا - وأضيعهم ؟!

قال هذا الكلام فى مقدمة الفصل الرابع المعنون له بـ « قاسم » ، وهو فى الرواية محمد بن عبد الله خاتم الرُّسُل .

وإذا كان العرب « جرابيع » عند المؤلف ، فإن محمداً ﷺ جربوع مثلهم ؛ لأنه واحد منهم أباً وأُمّاً ومنشأً ولساناً ؟ هذه هى منزلة العرب قبل الإسلام ، ومنزلة المسلمين بعد الإسلام عند الأُستاذ نجيب محفوظ العربى المسلم ؟!

* *

● **من هو الجربوع ؟**

ليس لهذه الكلمة أصل فى اللُّغة إلا أن تكون محرفة من اليربوع ، وهو حيوان برِّي غير أليف يتخذ له بيتاً (حفرة) فى الأرض لها بابان ، فإذا أحسَّ بوجود الصياد دخل بيته من باب وخرج من الباب الآخر ، لينخدع الصياد بأنه

---

(١) أولاد حارتنا ص ٣٠٩

ما يزال موجوداً فى بيته ، بينما هو قد خرج ناجياً بنفسه ، ومنه اشتق وصف المخادع من الناس « المنافق » ، لأن بيت اليربوع محفور على شكل نفق تحت الأرض ، ويسمى بيته : « نافقاء اليربوع » .

أما الدلالة العرفية أو العامية لكلمة « الجربوع » ، فتعنى معانى كثيرة فى عرف العامة ، أو العوام ، وكلها تدور حول الذَّم والقدح وانحطاط الشأن ، فهى « قاموس » السبِّ والشتْم .

فيا تُرى ماذا أراد الأُستاذ نجيب محفوظ من وصف العرب قبل الإسلام ، والمسلمين بعد الإسلام بأنهم جرابيع ؟

هل أراد أن ينسبهم إلى اليربوع الماكر الخدَّاع ؟

أم أراد أن يصفهم بالمعانى « السوقية » المبتذلة التى تُراد فى عُرْف العوام من كلمة جربوع أو جرابيع ؟

الذى أرجحه أن « الأديب الكبير العربى المسلم » الأُستاذ نجيب محفوظ لم يقصد إلا المعانى القادحة ، والصفات الذميمة المخلة بالشرف والكرامة ، ولن أسوق القول هنا جزافاً أو تحاملاً على الرجل ، لأن لى فى بقية كلامه دليلاً قوياً على هذا الترجيح ، وهاكم البيان :

● **الحياة فى حى الجرابيع :**

ويواصل المؤلف حديثه عن الجرابيع منتقلاً من بيان انحطاطهم اجتماعياً وعِرْقِيَّاً إلى وصف حياتهم فى حيهم فيقول :

« إذْ أن الحياة ، وبخاصة فى هذا الحى من الحارة - يقصد حى الجرابيع - لم تكن تعلو كثيراً عن حياة الكلاب ، والقطط ، والذباب ، التى تعثر على رزقها من النفايات وأكوام الزبالة » ؟! [1] .

---

(١) « أولاد حارتنا ص ٣١٠

هذه هى حياة الجرابيع أو العرب فى حيهم ، حياة حقيرة منحطة لا تكاد تجد فروقاً بينها وبين حياة الكلاب والقطط والذباب ، يلتقطون رزقهم من النفايات (أى الفضلات) ومن أكوام الزبالة ؟؟

ومن المؤسف - حقاً - أن الأُستاذ نجيب محفوظ ذكر هذه العبارة وهو يتحدث عن كفالة أبى طالب (زكريا فى الرواية) لابن أخيه محمد بن عبد الله (قاسم فى الرواية) ، وإليك كلامه حتى لا تظن أننا نفترى على الرجل :

« وكان قد مضت فترة غير قصيرة من حياة عم زكريا الزوجية - أى أبى طالب عم النبى - دون أن يرزق بمولود ، ولكن آنس وحشته فى تلك الفترة صغير يتيم هو قاسم - أى محمد - ابن شقيق زكريا عقب وفاة والديه .

ولم يجد الرجل - أى زكريا - فى الصغير - أى محمد - عبئاً يؤوده - يعنى يرهقه - إذ أن الحياة - وخاصة فى هذا الحى من الحارة لم تكن تعلو كثيراً عن حياة الكلاب والقطط والذباب ، التى تعثر على رزقها من النفايات وأكوام الزبالة » (١) .

* *

● ما معنى هذا الكلام ؟

يريد أن يقول المؤلف المحترم الأُستاذ نجيب محفوظ :

إن أبا طالب لم يجد عناءً فى كفالة محمد بعد وفاة والديه ، والسبب أن الحياة العربية كانت منحطة ، مثلهم مثل الكلاب والقطط والذباب ، فمصدر رزق الجميع هو النفايات ومطارح الزبالة ؟!

---

(١) أولاد حارتنا : (٣١٠) لم نر المؤلف أساء إلى آل حمدان أو آل جبل وهم اليهود ، ولم نره أساء إلى آل رفاعة وهم النصارى ، ولا أساء إلى جبل أو موسى ، ولا أساء إلى رفاعة أو عيسى ولا فى كلمة واحدة ، وهنا يكيل الشتم وينسب النقائص إلى العرب وإلى خاتم الرُّسُل ، يكيلها جزافاً بلا عد ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

obeikandl.com

ويريد المؤلف المحترم مرة أُخرى أن يصور لقراء روايته شرقاً وغرباً أن « قاسم » أو محمد بن عبد الله أفضل البَشر جميعاً نشأ وترعرع فى هذه البيئة - بيئة الكلاب والقطط والذباب ، يلتقط له عمه رزقه من النفايات وأكوام الزبالة ؟!!

ولذلك لم يتعب عمه فى تربيته ، ولذلك وحده ؟!

أرأيت كيف تطاول قلم « الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ » على مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين ، والذى قال فى وصفه رب العزة وهو أصدق القائلين :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ (١) .

أهكذا نشأ محمد وتربى يا نجيب ، شكوناك لله رب العالمين ، ما لم تتبرأ مما جنيت ، ويا لقبح وشناعة ما جنيت أيها الرجل « الهمام » على قومه ودين قومه ورسول قومه ؟ أتحسبه هيناً وهو عند الله عظيم ؟!

لقد افتريت على خاتم الرُّسُل ما لم يقله أبو جهل ولا أبو لهب ، ولا حتى الشيطان » ؟!

المهم : فقد أقمنا الدليل من كلام المؤلف على أنه لم يُرْد من وصف العرب قبل الإسلام ، والمسلمين بعد الإسلام ، بالجرابيع إلا الانحطاط والتحقير والمهانة المزرية ؟

ولا تظن أن هذا الوصف « الجرابيع » مقصور على العرب قبل الإسلام ، كلا ، وسوف ترى أن هذا الوصف مستمر حتى بعد أن صار العرب مسلمين وإلى أن قُبِض رسول الله ﷺ .

---

(١) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦

● **فرية شنيعة أُخرى :**

لم يكتف مؤلف الرواية الآثمة « أولاد حارتنا » بما ألحقه بمحمد ﷺ من إهانات وبذاءات ، بل راح يفترى عليه فرية أُخرى شنيعة أظهره فيها لِصّاً وقليل حياء ، هكذا ورب السموات والأرض ، وسأنقل لك كلامه كاملاً ، وعلى كره منى ، لتتأكد بنفسك على صدق ما نقول :

قال المؤلف :

« وكم نظر - أى محمد - إلى بيت الناظر بدهش وإعجاب ، وكم رمق الثمار فوق الأشجار برغبة واشتهاء ؟ ويوماً رأى البواب ناعساً فتسلل - أى محمد - إلى الحديقة بخفة ، دون أن يرى أحداً أو يراه أحد ، وراح يقطع المماش - أى الثمرات - فى دهشة وسرور ، ويلتقط ثمار الجوافة من فوق الحشائش ويأكلها بلذة ، حتى وجد نفسه أمام الفسقية - أى النافورة - وعلقت عيناه بعمود الماء المتصاعد من النافورة ، استخفه الفرح فخلع جلبابه ونزل إلى الماء ، ومضى يخوض فيه ويضرب سطحه بيديه ، ويدلك به جسده ، وقد ذهل عما حوله وما يدرى إلا وصوت حاد يصيح بغضب : « يا عثمان يا ابن الكلب ، تعالى يا أعمى يا ابن الأعمى » التفت رأسه نحو الصوت فرأى على السلاملك رجلاً متلفعاً بعباءة حمراء ، يشير نحوه بإصبعه المرتجف ، والغضب يشتعل فى وجهه ، فاندفع - يعنى محمداً - نحو حافة الفسقية ، وصعد إلى أرض الحديقة مرتكزاً على مرفقيه ، وعند ذلك وجد البواب قادماً مهرولاً ، فجرى - أى محمد - نحو عريشة الياسمين الملاصقة للسور ، ناسياً جلبابه حيث خلعه - أى جرى محمد وهو عريان ؟! - وركض نحو الباب فمرق إلى الحارة - أى وهو عريان ؟! عدا بكل قواه - أى جرى مسرعاً - ورآه أطفال فتبعوه مهللين - أى يتتريقون عليه - فنبحت كلاب ، ثم خرج عثمان البواب إلى الحارة ، وراح يجرى وراءه حتى أدركه فى منتصف

حيه - أى حى الجرابيع - فقبض على ذراعه وتوقف وهو يلهث ؟! [1] ، وعلا صراخ قاسم - أى محمد - حتى ملأ الحى ، وسرعان ما جاءت زوجة عمه حاملة وليدها - أى زوجة زكريا رمز أبى طالب فى الرواية - . . . دهشت زوجة عمه لمنظره - أى لأنه عريان - وأمسكت بيده وهى تقول للبواب :

وحِّد الله يا عم عثمان أرعبت الولد ، ماذا فعل ؟ وأين جلبابه ؟ فصاح البواب فى تكبُّر [2] :

رآه حضرة الناظر ، وهو يستحم فى الفسقية ، هذا العفريت يجب جلده دخل الملعون وأنا نائم ؟! لماذا لا تريحوننا من عفاريتكم ؟!

السماح يا عم عثمان ، وحقك علىَّ » ؟! [3] .

ها أنذا قد قرأت كلام المؤلف ، وقد حرصنا على نقله كما كتبه دون تغيير أو تلخيص ، اللَّهُمَّ إلا بعض جمل توضيحية وضعناها بين شرطتين هكذا - . . . - وإذا أحسنت النظر فيها تجد التهم الآتية لصقها المؤلف بأطهر إنسان فى الوجود :

أولاً : هو لص متهم بسرقة ثمار الجوافة ؟!

ثانياً : هو قليل حياء يسير عارياً بين الناس ؟!

ثالثاً : هو عفريت ، أى شيطان رجيم ؟!

رابعاً : هو ملعون ؟!

ونسأل نجيب محفوظ :

هل شهدت أنت هذه الواقعة ؟ وماذا تفعل بين يدى ربك حين يسألك عن

---

(١) لاحظ أن « اللهث » صفة الكلب ، والمؤلف يعرف ذلك تماماً ؟!

(٢) أتدرى لماذا تكبَّر البواب ؟ لأنه يكلم واحدة من الجرابيع فتكبَّر عليها ، وهو البواب ، هل فهمت ؟

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٣١٠ - ٣١١

أدلتك التى تثبت بها هذه الواقعة ؟ ألك دليل يا شيخ ، ألم تخف ربك يوم يعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصى والأقدام ؟!

ثم هل سمعت عثمانك هذا يشتم محمداً بأنه ملعون وعفريت ؟!

أم أنت الشاتم اللاعن لمن أرسله الله للناس كافة بشيراً ونذيراً .

إن كل كلمة فى الرواية أنت قائلها ، سواء أسندتها إلى أشخاصك أو شخوصك فيها أو أسندتها إلى نفسك ، فأنت القائل ، وأنت الذى سيحاسبك الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، تب إلى الله يا شيخ وتبرأ علناً أمام العالَم كله من هذا السم الذى صنعته يداك ، وخطه قلمك ، اللَّهُمَّ إلا إن كنت ما زلت مؤمناً به فما لأحد عليك من سبيل فى هذه الحياة الدنيا ، أما فى الآخرة ، فالأمر لله وحده ، يُوَفِّي كل نفس ما كسبت ، وما ربك بظلام للعبيد .

❊ ❊

● **اعتذار زوجة زكريا للبواب :**

أمر آخر أريد لفت الأنظار إليه ، وهو اعتذار زوجة زكريا أو أبى طالب عم النبى ﷺ للبواب البذئ اللسان ، فقد تطاول هذا البواب ، أو تطاول المؤلف نفسه محتمياً بالبواب ، فشتم محمداً بأنه عفريت وملعون ؟! ويجب جلده ، وصاح فى استعلاء على الزوجة التى كلمته بكل أدب أو قل بكل مذلَّة وخضوع ، ولكنه علا صوته عليها وتغطرس وتكبر وأمرها أن يُمْسِك قومها عفاريتهم ، ومع هذا كله يأبى المؤلف إلا أن تعتذر المرأة ، وتقول لعثمان البواب :

« السَّماح يا عم عثمان ، وحقك علىَّ » ؟!

إن السبب - عند المؤلف - فى هذا الاعتذار للبواب أن المرأة جربوعة من حى الجرابيع - أى عربية من حى العرب أو المسلمين - والعرب والمسلمون فى

رواية « أولاد حارتنا » من أحط الناس وأتعسهم وأضيعهم ، فالاعتذار واجب عليها حتى للبوابين ؟!

أما لو كانت هذه المرأة من حى آل حمدان أو آل جبل - أعنى اليهود ، أو كانت من حى رفاعة - أعنى النصارى - يضرب لها البواب ألف تعظيم سلام ؟!

هكذا أراد بهم المؤلف ، وهكذا أراد بنا المؤلف ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبعد هذه التوطئة اللازمة ، نأخذ فى عرض أدلتنا على أن « قاسم » فى رواية « أولاد حارتنا » هو محمد بن عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

❊ ❊

● **الأدلة :**

الدليل الأول - التنسيق الوجودى الزمنى :

المؤلف - كما قلنا مرات - يتتبَّع خط سير التاريخ الدينى النبوى فى رسم صور كبار أولاد الحارة ، فبدأ بأدهم وهو آدم أبو البَشر ، ثم جبل وهو موسى ، ثم رفاعة وهو عيسى ، مراعياً فى الذكر الوجود الزمنى الأسبق فالأسبق ، وها هو ذا يتحدث عن قاسم الذى هو آخر حلقة فى التاريخ الدينى النبوى ، فهذا التنسيق هو دليلنا الأول على أن « قاسم » هو محمد بن عبد الله خاتم الرُّسُل .

❊ ❊

الدليل الثانى - نشأته يتيماً صلى الله عليه وسلم :

هذه أول لمحة فى رسم شخصية الرسول الخاتم فى رواية « أولاد حارتنا » وقد نقلنا منذ قريب كلام المؤلف فيها عند حديثه عن « زكريا » رمز عمه أبى طالب فى الرواية . بيد أن الجديد الذى نذكره فيها - هنا - أن الرواية لم تذكر كفالة

obeikandl.com

جده عبد المطلب له قبل عمه ، وهذا لا يؤثر فى صدق الدليل ؛ لأن قول المؤلف بأن طفلاً صغيراً يتيماً آنس زكريا بعد وفاة والديه ، هذا القول كاف فى صحة الاستدلال ، وربما كان قصر المدة التى كفل فيها عبد المطلب « قاسم » وطول المدة فى كفالة « زكريا » هو الذى حمل الرواية على إهمال الأولى وإيثار الثانية ، أو أن التمويه هو السبب ؟

❊ ❊

الدليل الثالث – مساعدة قاسم لعمه على أعباء المعيشة :

من المعروف فى سيرة محمد ﷺ – قبل البعثة – أنه لم يرض أن يكون عالة على عمه أبى طالب وهو فى كفالته ، وأحب أن يعمل لمساعدة عمه على أعباء المعيشة ، هذه حقيقة ، وكان عمله فى حدود النشاط الشريف ، الذى كان سائداً فى المجتمع فى ذلك الوقت ، وقد ألمحت رواية « أولاد حارتنا » إلى هذه الواقعة ، ولكن فى صورة مضحكة ، مزرية .

❊ ❊

● **الواقعة فى الرواية :**

لقد لعب خيال الكاتب فى تصوير العمل الذى زاوله محمد ﷺ ، ومبلغ ظنى أن المؤلف ما أراد بهذا التصوير الخرافى إلا إضحاك قراء روايته من الأعماق ، وفيما يلى كلامه :

❊ ❊

● **بيَّاع بطاطة :**

لم يجد مؤلف الرواية عملاً لينسبه إلى أبى طالب إلا بَيْعَ البطاطة على عربة كارو – هكذا والله زعم المؤلف – فكان لا بد لقاسم – محمد ﷺ – أن يساعد عمه فى المهنة نفسها – بيع البطاطة – ؟

ومما يدعو إلى العجب أن يصور الأستاذ نجيب محفوظ الرسول الخاتم فى

صورة مزرية ، وهو « يزق عربة كارو » وينادى كما علمه عمه : « بطاطة العُمْدة - بطاطة الفُرن » ؟! (١) .

ألم يكن فى وُسْع المؤلف أن ينسب إلى أكرم إنسان عند الله عملاً آخر غير « زق العربة الكارو وبيع البطاطة ، ونداءً غير هذا النداء السخيف :

بطاطة العمدة - بطاطة الفرن ؟!

ألهذه الدرجة هان لديك محمد ﷺ ؟!

* *

● **بين « شو » و« محفوظ » :**

لقد كان « برناردشو » النصرانى البروتستانتى أعرف بمنزلة محمد ﷺ ، وأرعى لحرمته من « محفوظ » المسلم ؟!

« شو » دافع عن رسول الإسلام ولم يكن من أتباعه ، فقد كان يشاع فى حياة « شو » وصف محمد ﷺ بأنه راعى غنم ، ردَّد هذا الوصف على سبيل التهكم المستشرقون وأساتذتهم المبشرون وبعض مثقفى الغرب ، فكتب « شو » مسرحية كان فى بعض مشاهدها عبارة تقول على لسان أحد ممثليها يخاطب أولئك المتهكمين على محمد ﷺ :

إن محمداً الذى تصفونه بأنه راعى غنم ، كان يصف تلاميذ المسيح بـ « الحواريين » ، وكان من الممكن أن يسميهم : صيادى سمك ، ولكان صادقاً لو فعل .

هذا « برناردشو » ، أما نجيب محفوظ فلم يجد وصفاً لائقاً بهذا الرسول العظيم إلا أن يكون « بيَّاع بطاطة » ؟!

* *

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٣١٢ ملخصاً .

obeikandl.com

الدليل الرابع - رعى الغنم :

رعى النبى ﷺ الغنم فى شبابه قبل البعثة ، رعاها لأهل مكة ، ولعمه ، وهى مهنة تدرب صاحبها على الحكمة وحسن التصرف فى سياسة الأُمور ، كما تدربه على الصبر وتحمل المعاناة ، وهذه صفات لازمة لمن سيكون نبياً ، وهى سُنَّة الأنبياء قبل بعثتهم ، وإن لم يشتهر رعى الغنم إلا فى حياة نبينا صلى الله عليه وسلم .

فقد روى الإمام البخارى فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال :

« ما بعث الله - عَزَّ وجَلَّ - نبيّاً إلا راعى غنم ، فقال أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط » (١) .

وقد أورد مؤلف الرواية هذه الواقعة مع كثير من التزوير .

❊ ❊

● **الواقعة فى الرواية :**

نذكر أولاً كلام مؤلف رواية « أولاد حارتنا » ، ثم نعقِّب عليه . قال :

« لم يكن يمر يوم دون أن يَزُور (معلمه) ، كان يحبه ويسعد بأحاديثه ، ووجد فيه رجلاً محيطاً بأخبار حارته ، حاضرها وماضيها ، ويعرف ما يتغنَّى به شعراء الرباب وأكثر (٢) . . وكان يقول - أى قاسم - ليحيى - أى ورقة ابن نوفل - :

إنى أرعى أغناماً من كل حى ، عندى غنم لجبل - أى لقوم موسى وهم

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب (الإجارة) ، باب : (رعى الغنم) ، انظر فتح البارى : ٤/ ٤٤١ ، وأخرجه ابن ماجه وابن سعد فى الطبقات وغيرهم .

(٢) أذكر القارئ مرة أُخرى بأن شعراء الرباب رمز فى الرواية للرواة والدعاة والقصصيين الدينيين .

اليهود - وأُخرى لرفاعة - يعنى للنصارى أتباع عيسى - وثالثة : للموسرين من حيِّنا . أفلا ترى أننى مثل رفاعة ؟! - أى مثل عيسى - .

فرمقه الرجل - أى نظر ورقة إلى محمد - باستنكار وقال :

« رفاعة ؟ أنت مثل رفاعة ؟ » وأنت شاب مولع بالنساء ، ترصد عند المغيب فتيات الخلاء ؟!

فابتسم قاسم - أى محمد - متسائلاً : وهل فى ذلك عيب يا معلمى ؟!

قال يحيى : « أنت وشأنك ، ولكن لا تقل : إنك مثل رفاعة » ؟! (١) .

❊ ❊

● **تعقيب** :

نقول أولاً : إن هذه الفقرات المنقولة حرفياً من « أولاد حارتنا » دليل قاطع على أن « قاسم » فى الرواية ، هو محمد بن عبد الله رسول الله إلى الناس أجمعين ، وخاتم رُسُل الله الكرام البررة .

أما ثانياً فنقول :

إن فى هذه الفقرات التى نقلناها كفراً بما أنزل الله أو ما يشبه الكفر ؛ لاشتمالها على دعاوى شديدة الخطورة وكذب على الله ورسوله ؟!

فأولاً : يريد مؤلف الرواية أن يقول : إن لمحمد ﷺ مُعَلِّماً وأستاذاً من البَشر ، هو ورقة بن نوفل النصرانى الكاهن . وقد ورد هذا مرتين فى هذه الفقرات ، المرة الأُولى فى كلام المؤلف مباشرة حيث قال :

« ولم يكن يمر يوم دون أن يزور معلمه - يقصد أن محمداً ﷺ كان حريصاً على زيارة ورقة بن نوفل كل يوم ، والمرة الثانية فى العبارة التى افتراها افتراء

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٣١٨

متعمداً على محمد ﷺ ، حيث زعم الكاتب أن « قاسم » قال ليحيى : يا مُعلِّمى » ؟! .

وثانياً : حيث زعم الكاتب أن « قاسم » أى محمداً - كان معجباً بما كان لدى يحيى - أى ورقة بن نوفل - من علم محيط بأخبار الحارة - يعنى الدنيا ما ضيها وحاضرها ؟!

يريد المؤلف أن يقول : إن الصلة العميقة بين محمد وورقة كفيلة ، بأن يكون محمد قد تلقى علوماً غزيرة عن ورقة بن نوفل ، ومعنى هذا أن المؤلف يؤيد ما يدعيه المبشِّرون والمستشرقون من أن لمحمد معلماً وأُستاذاً من البَشر ، وأن القرآن نفسه ليس وحياً من عند الله ، بل هو كلام محمد اقتبسه من توراة اليهود وأناجيل النصارى ؟!

ثالثاً : اتهام الكاتب محمداً ﷺ بالفسق النسائى ، وأنه يترصد الفتيات كل مغيب شمس ؟! وهذا بدوره مجاراة صريحة لأباطيل الاستشراق والتبشير الذين يروجون أن محمداً كان زير نساء ؟! وقد أسند المؤلف هذا القول ليحيى أو ورقة بن نوفل ، وورقة لم يقل هذا أبداً ، وإنما الذى قاله هو الأُستاذ نجيب محفوظ ، إى ورب السموات والأرض هو الأُستاذ نجيب محفوظ .

وعبارته هذه لا تنصرف إلا للفسق النسائى وليس كثرة الزواج ، لأن محمداً قبل البعثة لم يتزوج سوى خديجة ، فكيف يقول له ورقة - والحالة هذه - : إنك شاب مولع بالنساء ، هذه واحدة . أما الثانية فإن قوله : ترصد عند المغيب فتيات الخلاء ، نص قاطع فى أن الاتهام إنما كان بالفسق النسائى ، وليس كثرة الزواج ؟!

رابعاً : إن الأُستاذ نجيب محفوظ يُفضِّل عيسى ابن مريم على خاتم الرُّسُل ، وهذه دعوى لم يدَّعيها عيسى لنفسه ، ولا ادعاها رسول قط لنفسه ، وإنما ادعاها الأُستاذ نجيب محفوظ محتمياً بورقة بن نوفل ، حيث أسند إلى ورقة أنه قال لمحمد ﷺ :

« رفاعة ؛ أنت مثل رفاعة ، لا تقل : إنك مثل رفاعة ؟! ، وورقة لم يقل هذا ، ولا محمد قال لورقة : أفلا ترى أنى مثل رفاعة ؟ إذن فالقائل هذا وذاك هو الأُستاذ نجيب محفوظ ، لا أحد غيره ، اللَّهُمَّ إلا المبشرون والحاقدون من المستشرقين ؟!

نحن نفهم أن يقول هذا الكلام فى محمد القس صموئيل زويمر المبشر الحقود ، أو يقوله جولد زيهر المستشرق الحسود .

أما أن يقوله الأُستاذ نجيب محفوظ المسلم ، فهذا ما لا نفهمه ولا نهضمه ، ولا نقره ، ولا نغمض عنه عيناً ، ولا نكف عنه لساناً ولا قلماً ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، وما أحرانا أن نردد قول الشاعر الحكيم :

قومى همو قتلوا - أُتَيْمَ - أخى فإذا رميت يصيبنى سهمى ؟!

❊ ❊

الدليل الخامس - الاختلاء فى غار حراء :

عزف النبى ﷺ عن حياة اللهو وعبث الشباب منذ طفولته ، فلم يشارك أهل مكة فى سمرهم ولهوهم ، وحُبب إليه الخلاء ، فكان يخلو فى غار حراء الليالى ذوات العدد ، يتأمل ويتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، وما كان يترك الاختلاء إلا ليتزود ويعود من جديد ، فاسمع إليه وهو يحكى عن نفسه :

« ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به ، إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله فيهما :

قلت ليلة لبعض فتيان مكة ، ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة ، فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ، فقال : بلى ، قال : فدخلت حتى إذا جئت أول دارٍ من دور مكة ، سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة وضرب الله تعالى على أُذنَىَّ ،

فوالله ما أيقظنى إلا مسُّ الشمس ، فرجعت لصاحبى ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلتُ شيئاً ، ثم أخبرته بالذى رأيت .

ثم قلت ليلة أُخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ، ففعل فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل : فلان نكح فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أُذُنىَّ ، فوالله ما أيقظنى إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله - عَزَّ وجَلَّ - بنبُوَّته » (١) .

لذلك حُبِّب إليه الخلاء متأملاً ذاكراً ، فزكا قلبه ، وصفت نفسه ، وطهرت سيرته ، وحفظه ربه من المحقرات وسفاسف الأُمور ، حتى صار صاحب أكبر رسالة فى التاريخ الدينى النبوى .

* *

● **الواقعة فى الرواية :**

عرضت الرواية هذه الواقعة فى الفقرة الآتية :

« وانطلق إلى الخلاء ليزور المعلم يحيى - ورقة بن نوفل - لكنه توقف عند صخرة هند (٢) - يعنى جبل النور أو غار حراء - وأخذ يفكر فى أمر الفتوات من مثل لهيطة وسوارس - أبو لهب وأبو جهل - وودَّ لو نعم بالسعادة المتاحة ، ويغمض العين عما حوله ، وتذكر أن هذا التساؤل قد حَيَّر من قبله « جبل ورفاعة - يعنى موسى وعيسى - كان يتأمل وهو ينظر إلى السماء فوق

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى : ٢/ ٣٤ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص١٤٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٢/ ٢٨٧ وغيرهم .

(٢) صخرة هند فى الرواية هى المكان الذى ارتكب فيه قدرى - قابيل - الفاحشة مع « هند » ابنة إدريس - إبليس - وهنا يطلقها المؤلف على جبل النور وغار حراء .. ؟!

الجبل ، ورغم سعادته بمولودته إحسان - يعنى فاطمة - كان يشتد به الفكر ، ويشرد لُبُّه ، حتى ظنَّت زوجته قمر - يعنى خديجة - أن أحداً فى البيت أساء إليه ، فنفى ذلك ، ثم قالت له : لعلها عينٌ أصابتك ، قال : لعلها » (١) .

ما يزال المؤلف مغرماً بالتنويه بالعلاقة التى بين قاسم ويحيى أو محمد ﷺ وورقة بن نوفل ، ونلفت النظر إلى أن صخرة هند هذه لها معنى سيئ كل السوء فى الرواية (راجع الهامش رقم ٢١) .

ومع ذلك جَعَل عيسى عليه السلام من قبل يتلَقَّى رسالته السماوية عندها ، ثم جعل محمداً - هنا - يتوقف عندها ، فهل لذلك من معنى عند المؤلف ؟

سنعود إلى هذا عند تلقى محمد ﷺ التكليف بالرسالة الخاتمة . وهذا ما وعدنا به القارئ من قبل .

وأياً كان الأمر فإن ورود الاختلاء فى الرواية فى فصل « قاسم » دليل آخر على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن الله ﷺ .

* *

الدليل السادس - الزواج من خديجة :

من أبرز الملامح فى رسم شخصية محمد التاريخية صلى الله عليه وسلم : زواجه من السيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد ، وكانت من فضليات نساء قريش نسباً وحسباً وخلقاً ، ولما كان مؤلف « أولاد حارتنا » فى فصل « قاسم » يتتبع وقائع السيرة المحمدية واقعة إثر واقعة ، لم ير بدأ من الحديث عن زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضى الله عنها .

ومع أنه - كعادته - يخضع هذه الحقائق للخيال الجامح ، بل الآثم فى أكثر الأحيان ، فإن خياله - هنا - خرج من كل حدٍ معهود . وفى استدلالنا

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٣٤٥ - ٣٤٦

بما جاء عن هذا الزواج فى رواية « أولاد حارتنا » على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن عبد الله ، فإننا لن نقف إلا على تصويره لحفل الزفاف ، لنرى كيف زُفَّتْ قمر - وهو الاسم الرمزى لخديجة فى الرواية ، وماذا كان سلوك « العريس » وسلوك مَدْعُوِّيه من أمثال صادق - أى أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، وحسن - أى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وننقل فى السطور الآتية كلام المؤلف فى وصف ليلة الزفاف :

« لنبدأ الزفة : تقدم كعبورة الزفة ، فى جلباب على اللحم ، يرقص حافياً ، ومركزاً على قمة رأسه نبوتاً ، وخلفه سار المنشدون . . ثم موكب العريس . . وأحاط بالجميع حملة المشاعل ، وراح المنشد يغنِّى بصوت مليح :

الأوَّلىَ آه من عينى دى .

والثانية آه من إيدى دى .

والثالثة آه من رِجْلى دى .

أصل اللى شبكتنى مع المحبوب عينى دى .

ولَّا سلَّمتْ عليه سلَّمتْ بإيدى دى .

وادى اللى ودتنى للمحبوب رجلى دى .

وتعالت الآهات من الأفواه المخمورة المخدرة ، والموكب يشق طريقه . . والليل ينطوى فى غفلة من السعداء ، وعادت الزفة كما ذهبت فى بهجة وانشراح . . وبلغ الطرب من زكريا - أى أبى طالب عم الرسول - منتهاه ، فتناول عصاه وراح يرقص وهز الرأس مرة ، والصدر مرة أُخرى ، كما هز الوسط ؟! وصور بحركاته هيئة القتال وهيئة الوصال مؤذناً بحسن الختام ، عند ذاك انتقل قاسم - محمد ﷺ - إلى الحريم ، رأى قمر - أى خديجة عروسه - عند ملتقى صفين من المدعوات ، فاتجه نحوها يخوض أمواجاً من الزغاريد ، وتناول يدها فقامت ثم سارا معاً تتقدمها راقصة كأنما تلقى عليها

الدرس الأخير ، حتى احتوتهما حجرة العُرْس ، وبإغلاق باب الحجرة انفصلا انفصالاً كُلياً عن العالَم الخارجى » ؟! (١) .

وليس لنا تعليق على هذا السخف إلا سؤال نوجهه للأستاذ نجيب محفوظ :

هذا الوصف الآثم الذى صورته بيدك :

أهو وصف لزفاف النبى الطاهر العظيم ؟

أم لحفل ماجن من أحفال ليلة رأس السنة ، أقيم فى أحد مواخير الهرم ؟!

* *

الدليل السابع - الإتجار فى مال خديجة :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أجَّرْتُ نفسى من خديجة ، سَفْرتين بقلوص » .

هذا الخبر وإن تكلم فيه رجال الحديث ، فإنه يشير إلى واقعة مُجْمَعٍ عليها بين كُتَّاب السير ، وهى اشتغال النبي ﷺ بالإتجار فى مال خديجة .

وقد أمنته خديجة على مالها لما عُرِف عنه من الصدق والأمانة والاستقامة فى القول والعمل ، وما من كتاب من كتب السيرة المحمدية ، كسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية ، والروض الأُنف للإمام السُّهَيْلى إلا وفيه نصوص صريحة بعمل النبى فى مال خديجة ، والسفر به إلى الشام ومعه غلامها ميسرة .

وفى تتبع رواية « أولاد حارتنا » حرص مؤلفها على الإشارة إلى هذا العمل ؛ لأنه جزء من سيرة محمد ﷺ ، الذى يرمز إليه المؤلف بـ « قاسم » .

* *

---

(١) « أولاد حارتنا ص ٣٣٩ - ٣٤٠

● **الواقعة فى الرواية :**

إتجاره - صلى الله عليه وسلم - فى مال خديجة كان قبل أن يبعث رسولاً ، وقبل أن يتزوج منها ، لكن رواية أولاد الحارة عكست الوضع ، فجعلت الزواج قبل الإتجار ، وأن فكرة الإتجار طرأت فى ذهن خديجة ، وهما فى جلسة عائلية ، ولعل هذا العكس المتعمد لون من ألوان الفر بعد الكر ، أو الإحجام بعد الإقدام لئلا يعرف قراء الرواية « جُوَّانيات » الأُستاذ نجيب محفوظ ، فهو - فضلاً عن التعتيم الرمزى - كثيراً ما يحرِّف مجريات الأحداث .

ومن المستحسن أن ننقل كلامه ليشاركنا القراء فى حقيقة ما نقول :

قال المؤلف :

« وقالت له يوماً وهما جالسان جنباً إلى جنب فى حجرة الجلوس :

أراك كالحمل الوديع : لا تطلب ولا تأمر ولا تزجر ، وجميع ما فى البيت ملك يدك .

فداعب خُصلة من شعر رأسها المصبوغ بالحنَّاء ؟! وقال : بلغتُ حالاً لا يُطلب عندها شىء ؟

فشدَّت يده بقوة وقالت : حدثنى قلبى من بادئ الأمر بأنك خير الرجال فى حينا - يعنى حى الجرابيع - لكنك لأدبك تبدو أحياناً كالغريب فى دارك ، ألا تدرى أن ذلك يضايقنى ؟

قال : إنك تخاطبين رجلاً نقله حظه السعيد من الرمال المحرقة إلى جنة البيت السعيد . فتظاهرت بالجد . . وقالت : لا تظن أنك ستلقى راحة فى بيتى ، ستحل اليوم أو غداً محل عمى فى إدارة أملاكى ، فهل تستثقل ذلك ؟ فضحك قائلاً :

إنه اللهو بالقياس إلى رعى الغنم .

obeikandi.com

وتولى إدارة أملاكها الموزعة بين حى الجرابيع والجمالية » ؟! [1] .

ونسأل : من هى صاحبة الأملاك إن لم تكن خديجة ؟

ومن هو قاسم مدير تلك الأملاك إن لم يكن محمداً ؟

وهل أجدت رموز الكاتب ووسائل التمويه الأُخرى فى إخفاء « جُوَّانياته » شيئاً ؟

كلا ، لقد تحولت « الجُوَّانيات » إلى « بَرَّانِيَّاتٍ » ما فى ذلك من ريب .

❊ ❊

الدليل الثامن - بدء نزول الوحى :

تتويج محمد ﷺ بالرسالة ، وبدء نزول الوحى الأمين عليه مثل الشمس حين تتوسط المسافة بين المشرق والمغرب ، وتتعامد على الأرض من كبد السماء ، قوة وظهوراً ، وأى كاتب فى سيرة محمد يحرص كل الحرص على إثبات هذا الحدث الضخم ، حتى يتم له الوفاء برسم الشخصية التاريخية لهذا الرسول الكريم .

لذلك عمد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » للحديث عن تتويج محمد بالرسالة ، وإن تحدث عنها من وراء حجاب ، بيد أنه غلَّفها بخياله ورموزه ، وهى - مع هذا - ظاهرة فى الرواية ظهور الشمس فى كبد السماء . وها نحن نلخص كلام الرواية - لطوله - فى الأسطر الآتية :

● **الواقعة فى الرواية :**

مهدت الرواية لبدء الوحى بغياب قاسم - محمد - عن منزله يوماً ، غياباً لم يُعْهَد من قبل ، حتى كادت قمر - خديجة - أن تُجن ، فأذاعت النبأ ، وكوَّنت فريق بحث نشطاً من زكريا وحسن - أبى طالب وابنه علىّ ، وجاريتها سكينة ، قام هذا الفريق بالبحث عنه فى كل مكان يُظن وجوده فيه ، فلم يعثروا له على أثر ، فهداهم تفكيرهم للسؤال عنه عند المعلم يحيى -

---

(١) أولاد حارتنا ص : ٣٤١ ، ٣٤٢

ورقة بن نوفل الكاهن النصرانى - فوجدوه نائماً عنده ، وأن ورقة أخبرهم أن قوماً وجدوا « قاسم » مغشياً عليه ، فحملوه إلى خلوة ورقة ، ولما طلبوا منه إيقاظه أبى ، وقال : دعوه حتى يصحو هو من نفسه ؟

ولما عاد قاسم - محمد - إلى زوجه قمر - خديجة ، لاحظت عليه ذهولاً وشروداً ، فألَّحت عليه أن يخبرها ماذا حدث له ، فقال [1] :

« سأبوح به لك لأول مرة ، أنت أول شخص يسمعه ، لكن ينبغى أن تصدقينى ؛ لأنى لا أقول إلا الحق ، أمس حدث شىء عجيب ، هناك تحت « صخرة هند » - وأنا وحدى فى الليل والخلاء ، وإذا بصوت غريب يقول بغتة : مساء الخير يا قاسم ، فارتعدت من وقع المفاجأة ، ورفعت رأسى ، فرأيت شبح رجل واقف على بعد خطوة من مجلسى ، وقلت له : مساء الخير مَنْ أنت ؟

قال لى : أنا قنديل خادم الجبلاوى » [2] .

ويقول المؤلف : إن قنديل - يعنى جبريل - قال لقاسم نقلاً عن الجبلاوى :

« إن جميع أولاد الحارة أحفاده على السواء ، وإن الوقف ميراثهم على قدم المساواة ، وأن الفتونة شر يجب أن يذهب ، وإن الحارة يجب أن تصير امتداداً للبيت الكبير ، وأن « قاسم » سأل قنديل - جبريل - بأدب قائلاً :

ولماذا يبلغنى ذلك ؟ فقال قنديل : لكى تحققه بنفسك .

يكفينا ما لخصناه وما نقلناه حرفياً من كلام الرواية ، يكفينا دليلاً إلى ما قدمناه من أدلة على أن « قاسم » فى رواية « أولاد حارتنا » هو محمد رسول الله إلى الناس جميعاً ، بيد أن حديثاً كنا قد وعدنا به من قبل حان الآن موعده :

---

(١) الجزء الآتى ننقله حرفياً من كلام المؤلف .

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٣٤٧ - ٣٥٣

● **صخرة هند** :

وردت هذه العبارة أول مرة فى الرواية فى فصل « أدهم » رمز آدم ، وبخاصة عندما نشأت علاقة شيطانية بين قدرى أو قابيل أحد وَلَدَى آدم ، وهند بنت إدريس الذى رمز به المؤلف لإبليس أو الشيطان ، فقد أرانا المؤلف - هناك - أن قدرى وهنداً هذه اقترفا معاً « الفاحشة » عند صخرة أسماها المؤلف « صخرة هند » (١) .

ومعنى هذا أن « صخرة هند » مكان ملوَّث - ولو فى خيال الكاتب - وأنه موطن أول جريمة زنا فى الوجود .

وإذا كان الأمر - كذلك - وهو كذلك فى خيال الرواية ، فهل يليق أن يكون هذا « الموضع » موطناً لنزول الوحى على الرُّسُل والأنبياء ؟ لقد رأينا من قبل أن عيسى عليه السلام كلمه الجبلاوى رمز الأُلوهية (الله) فى الرواية عند صخرة هند ؟ وتوَّج الجبلاوى عيسى ابن مريم بالرسالة عند صخرة هند ؟

ونرى - هنا - فى فصل « قاسم » الذى ترمز به الرواية إلى محمد ﷺ أن « قنديل » - أى جبريل - نزل على محمد عند صخرة هند ؟

فهل للرواية من هدف فى جعل هذا الموضع مَهْبطاً لجبريل ، أمين الوحى على أنبياء الله ورُسُله ؟

نعم ، لا بد من هدف ، فقد عودتنا الرواية أنها لا تختار رموزها إلا لمعنى تريده ، وهدف تسعى إليه ، فماذا يا تُرى المعنى المقصود من هذا الرمز ومجئ رسالات السماء من ناحية « صخرة هند » هذه السيئة السمعة فى الرواية ؟

هل عند القُرَّاء من جواب ؟ أما أنا فقد ظننتُ ظناً أن الهدف كذا ، ولكنى أحتفظ بهذا الظن ؛ لأن بعض الظن إثم ، ومن يدرينى من أى نوع ظنى هذا ؟ أهو من « البعض » الموصوف بأنه إثم ، أم من البعض الآخر الصائب البرئ .

---

(١) هذا كله من صُنْع خيال الكاتب ، وليس له وجود فى الواقع .

ومع هذا فما زلت فى حَيْرة من هذا التلازم بين موطن الجريمة النكراء - صخرة هند - وبين نزول الوحى على الرُّسُل عندها ؟

❊ ❊

● **تزوير صارخ :**

محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن نزل عليه الوحى لأول مرة ذهب إلى بيته وهو يرتجف من هول الموقف ، وقال لخديجة : زملونى زملونى ، ولم يختف كما زعمت الرواية ، ولم يُعْثر عليه وهو فى حالة إغماء ، ولم يحمله أحد إلى خلوة ورقة بن نوفل ، هذه افتراءات وتزويرات صارخة تشوِّه بها الرواية سيرة عطرة لم يُعْرف لها مثيل فى الوجود ، ولكنَّ الرواية - فيما خطر لى - تريد أن تشير إلى توطيد العلاقة بين النبى وورقة ، لدرجة أن القوم الذين وجدوه مغشياً عليه فى الطريق - على زعم الرواية - حملوه إلى « ورقة » ولم يحملوه إلى بيته هو ؟ وكأن ورقة ولى أمره ، وأعرف من أهله ، وأن علاقة محمد ﷺ بورقة أوثق من علاقته بأهله وزوجته ؟ هذه الافتراءات لا تخدم إلا مزاعم المبشرين الحاقدين على خاتم الرُّسُل ، والمستشرقين تلاميذ المبشِّرين ، والناهجين نهجهم فى الحقد على الإسلام ، وعلى رسول الإسلام وعلى المسلمين ؟

أيها القارئ الكريم : ألست معى فى أن هذه الرواية رواية آثمة يجب إعدامها من الوجود ؟

❊ ❊

الدليل التاسع - أصداء بدء نزول الوحى :

كان لتتويج محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة أصداء مدوية فى مكة ، ثم خارج مكة ، ثم فى العالَم المعمور إذ ذاك ، والذى يهمنا - الآن - صدى بدء الوحى فى الطور الأول من الرسالة ؛ لأن رواية « أولاد حارتنا » زوَّرت

واختلقت وهى تحكى بأساليبها الرمزية ، وحيلها التعبيرية الماكرة ما أحدثه نزول الوحى من آثار ، ودعونا نلخص كلامها بكل أمانة خشية التطويل :

● **تزوير موقف خديجة رضى الله عنها :**

معروف أن رمز خديجة فى الرواية « قمر » ، وقد أظهرتها الرواية فى حالة شديدة من الشك والارتياب فى صدق محمد ﷺ ، حين أخبرها بأن « قنديل - أى جبريل - خادم الجبلاوى كلمه ، وأبلغه برسالة من الجبلاوى ، بأن يحقق بنفسه مساواة أولاد الحارة ، أو أحفاد الجبلاوى فى الوقف ، أى أن خديجة ارتابت فى أمر الرسالة وبدء نزول الوحى ، وراحت تجادل النبى وتنازعه فيها ، ثم تلجأ إلى البكاء من القلق النفسى الذى أصابها ، فزوجها لم يُجرَّبْ عليه كذب قط . والأمر الذى يدعيه شديد الغرابة والخطورة ، ولم يملك محمد ﷺ أمام ارتيابها إلا أن يعفيها من تصديقه ؟! (١) ، ثم لم تصدقه إلا بعد عناء طويل ؟!

هكذا صورت الرواية موقف السيدة خديجة رضى الله عنها ، فكذبت - أعنى الرواية - على الله ورسوله ، وعلى أُم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ؟!

❊ ❊

● **الموقف الحقيقى :**

إن الموقف الحقيقى لخديجة من التصديق بالرسالة يختلف تماماً عما زعمته الرواية زوراً وبهتاناً :

كانت خديجة أول من علم ببدء نزول الوحى على خاتم الرُّسُل ، وكانت أول السابقين إلى الإسلام ، وعلى عكس ما زعمت الرواية ، فإن خديجة لم يخالجها أدنى شك فى ما قاله لها صلى الله عليه وسلم ، ولَمَّا أخبرها الخبر سارعت تثبته وتبشره بتأييد الله له ؛ لأنه أهل لتأييد الله :

---

(١) « أولاد الحارة » ص ٣٥٠ - ٣٥٤ ملخصاً .

قالت خديجة له :

أين كنت يا أبا القاسم ؟ فوالله لقد بعثت رُسُلى فى طلبك حتى بلغوا أعالى مكة ورجعوا إلىَّ .

قال : جاءنى وفى يده منديل من حرير فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ فجذبنى بشدة حتى احتبس منى النفس ، وظننت أنه الموت .

ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ، فضمنى إليه حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال :

اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ فقال :

﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) .

ثم انتهى فانصرف عنى . . فكأنما كتبت فى قلبى ، فخرجت حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول :

« يا محمد ؛ أنت رسول الله وأنا جبريل ، فرفعت رأسى إلى السماء انظر إليه ، فإذا جبريل فى صورة رجل صافٍّ قدميه فى أُفق السماء يقول :

« يا محمد ؛ أنت رسول الله وأنا جبريل ، فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفاً ، فما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى ، ثم انصرف عنى فجئت أهلى » .

فلما سمعت خديجة هذا الكلام بادرت تقول له :

« أبشر يا ابن عم ، واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأُمَّة » (٢) .

---

(١) العلق : ١ - ٥

(٢) قصص الأنبياء ص ٣٠٣ - ٣٠٤ محمد أحمد جاد المولى وآخرين .

وفى موطن آخر قال لها :

« لقد خشيت على نفسى ؟ فقالت له خديجة :

« كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتُقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » ، وفى رواية : الدهر بدل الحق [1] .

فأين الشك والتردد والارتياب الذى زعمته الرواية ؟

وهل المرتاب يقول - ولأول وهلة - فوالذى نفسى بيده إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأُمَّة ؟!

فما بال رواية « أولاد حارتنا » تنفث سموماً قاتلة فى أُصول الإيمان وفروعه ، وتحملنا على إساءة الظن بها بواعث وغايات فى كل سطرٍ من سطورها ؟!

* *

● **فرية ورقة** :

أما ورقة بن نوفل ، أو يحيى حسب رمز الرواية له ، فلم يكن يعلم من أمر محمد شيئاً ، ولا كان محمد يتردد عليه قبل البعثة ، ويروى عنه أخبار الأُمم الغابرة ، ولا وُجِد محمد مطروحاً على الطريق فحمله واجدوه إلى ورقة . كل هذه من افتراءات رواية « أولاد حارتنا » ، وليس لها من الواقع دليل ، ولا شبهة دليل ، وإنما بهتان خالص ؟!

ومحمد كانت كل حركاته معروفة لرجال قريش ، ولو كانوا رأوا محمداً يتردد على ورقة قبل البعثة ، ويتعلم منه ، لواجهوه لَمَّا رفضوا دعوته ونسبوا تعليمه إلى ورقة ، بدل أن يدعو ذلك لرجل أعجمى لا يعرف العربية ، ولا محمد يعرف لسانه الأعجمية ؟!

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى : ٢/١٣٦ ، ما عدا رواية « الدهر » .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

أم أن رواية « أولاد حارتنا » كانت فى ذلك الوقت ترصد محمداً بأجهزة التجسس الحديثة ، فعلمت من أحواله وتصرفاته ما لم يعلمه معاصروه من أمثال أبى لهب وأبى جهل ؟

أما قرأت رواية « أولاد حارتنا » قول الحق تعالى :

﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (٢) .

فتكف عن هذا الاختلاق الذى طمَّ وعمَّ فيها ، فلم يسلم من همزها ولمزها أحد من شرفاء أولاد حارتها ؟!

* *

● متى علم ورقة ؟

إن ورقة بن نوفل لم يعلم بشىء من شأن محمد ﷺ إلا بعد أن ذهبت خديجة إليه ، ومعها رسول الله ﷺ ، وكان ورقة ابن عم لخديجة ، فقالت له : اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : ابن أخى ، ما ترى ؟ فأخبره بما كان ، فقال ورقة : هذا (هو) الناموس الذى أُنْزِل على موسى ، يا ليتنى أكون حيّاً حين يخرجك قومك (٣) .

فقال صلى الله عليه وسلم : « أَوَ مُخْرِجِىَّ هُمْ » ؟ قال ورقة : نعم ، لم

---

(١) النحل : ١٠٣ (٢) الإسراء : ٧٦

(٣) إنما عرف ورقة إخراج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة من الكتب السابقة على القرآن . وهذا دليل على أن تحريفاً وقع فى تلك الكتب بعد الإسلام ، وفيه تم حذف هذه الأخبار .

يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودِى ، وأن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً » (١) .

هذه الحقائق - جميعاً - لم تكن مجهولة عند مؤلف الرواية ، ولكنه أدار ظهره لها ، وراح يبتدع سيرة أُخرى لخاتم الرُّسُل لا يقره عليها إنس ولا جان . وهو مسئول عنها أمام الله ما لم يتُبْ .

* *

الدليل العاشر - الهجرة إلى المدينة :

عرضت رواية « أولاد حارتنا » موضوع الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بين وضوح خافت ، وغموض طامس ، ونكتفى من كلامه عنها بهذه الإشارات ، ومن المعلوم أن أبا بكر الصِّدِّيق كان يرصد خطوات المؤامرة التى يدبرها المشركون لقتل محمد ﷺ ، وقد جندوا أربعين فتى شاباً جلداً ليضربوه جميعاً ، فلا يُعْلَم قاتله على وجه اليقين ، ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا يستطيع بنو هاشم آل النبى أن يطالبوه بثأره ، هكذا زيَّن لهم الشيطان ؟

وحين حددوا الليلة التى سينفذون فيها المؤامرة أرسل أبو بكر ابنته تخبر رسول الله ﷺ بضرورة الخروج من مكة ليلة التنفيذ . وفى هذا يقول مؤلف الرواية :

« إنه - يعنى أبا بكر الذى ترمز إليه الرواية بـ « صادق » يقول لك أنْ غادر الحارة فوراً ، فإن لهيطة وجلطة وحجاج وسوارس (٢) تآمروا على قتلك الليلة » (٣) .

---

(١) رواه الشيخان : البخارى ومسلم فى الصحيح .

(٢) لهيطة وجلطة وحجاج وسوارس رموز لمشركى مكة .

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٣٩٨

ثم يقول :

« وفى ثوانٍ تأهب للرحيل ، فلثم إحسان - يعنى فاطمة - مرات ، ووقف وراء الخصاص يراقب الطريق ، فرأى رجالاً من أعوان الفتوات . . الدلائل تشهد بأنهم يتأهبون » (١) .

ويستمر الكاتب حتى وصول النبى ﷺ إلى المدينة ، ويشير إلى ترحابهم به فيقول :

« أعددنا لك داراً وسط ديارنا ، وفيها الآن تنام إحسان . وقال قاسم - محمد - : حسبنا أن لا نجد بيننا فتوات ، فقال صادق - أبو بكر - : حارة جديدة . . سكانها يتزايدون مع الأيام ، وقد انضم إلينا جميع المعلمين - أى الأنصار - من حارتنا . ولما صعد قاسم إلى السطح تلقاه الرجال بالأعناق وصافحته النساء ، وارتفعت الأصوات بالتحيات والتهليل والتكبير . . » (٢) .

هذا حديث الهجرة فى رواية « أولاد حارتنا » ينطق بكلام فصيح - مهما موَّه المؤلف وخادع - بأن صاحب هذه السيرة هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وإن عرضها المؤلف - كما ترى - فى حذر وتوجُّس ، ورموز وألغاز وفر بعد كر ، وإحجام بعد إقدام .

❊ ❊

الدليل الحادى عشر - مشروعية القتال :

ظل المسلمون ثلاثة عشر عاماً بمكة قبل الهجرة يتعرضون لأفظع ألوان العذاب والاضطهاد ، دون أن يشهروا سلاحاً فى وجوه أعدائهم ؛ لأن الله لم يأذن لهم بالقتال فى تلك الفترة .

وبعد الهجرة إلى المدينة ، وتنظيم الأوضاع السياسية والاجتماعية فيها إذن الله لهم بقتال من قاتلهم ، فقال عَزَّ وجَلَّ :

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٥ - ٤٠٧ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٠

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ، وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ، وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

* *

● **الإذن فى الرواية** :

فى عبارة وجيزة للغاية أشار مؤلف الرواية إلى الإذن بالقتال فى الإسلام ومشروعيته ، وذلك عقب الحديث عن الهجرة مباشرة . قال المؤلف مسنداً هذا القول لقاسم :

« سنرفع النبابيت كما رفعها جبل - يعنى موسى - ولكن فى سبيل الرحمة التى نادى بها رفاعة - يعنى عيسى - ثم نستغل الوقف لخير الجميع » (٢) .

فالنبابيت التى ستُرفع هى السلاح أياً كان نوعه ، وقد رمز الكاتب بها إلى الإذن بالقتال ومشروعيته .

* *

● **نتائج التطبيق** :

ومما يؤكد ما فهمناه من رَفْع النبابيت أن المؤلف تحدث بعدها كثيراً عن معارك نشبت بين الجرابيع - أى المسلمين - وبين أعدائهم الفتوات ، وأن الانتصار الساحق كان للجرابيع بقيادة قاسم وأن الهزيمة كانت للفتوات .

* *

---

(١) الحج : ٣٩ - ٤٠

(٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٠٧ ، وربما رمز الكاتب بقوله : لخير الجميع إلى عالَمية الإسلام .

● **آثار الهزيمة** :

كما يصور آثار الهزيمة فى صفوف الفتوات فى عباراتهم الآتية التى تفيض بالغيظ :

- اقتلوا الجرابيع ؟!
- هاتوا جثة قاسم تأكلها الكلاب ؟!
- علىَّ الطلاق لأشربنَّ من دمه ؟!
- الجربوع اللئيم الجبان ؟!
- كان يأخذ المليم من يدى ويبوس التراب ؟!
- راعى غنم ، والله هَزُلَت .
- قاسم الذى كان ينبغى أن يظل متسولاً طول عمره لولا قمر [1] .

لقد أسرف المؤلف فى كيل السباب لقاسم ، وهو يعلم مَنْ هو قاسم فى روايته ؟؟

ولا سند لهذه الشتائم غير الخيال ، فكان حريا به أن يكون عفيف القلم وهو يتحدث عن هذه « الشخصية النبيلة الفاضلة » .

إن نتائج التطبيق هذه يمكن الاعتداد بها دليلاً مستقلاً لا تابعاً لدليل آخر ، وعلى كلٍ فكل الطرق تؤدى إلى روما كما يقول المثل .

❊ ❊

الدليل الثانى عشر - تعدد الزوجات :

لم يألوا خصوم الإسلام من المبشرين والمستشرقين وعملائهم ، لم يألوا جهداً فى تصيُّد النقائص والعيوب ، وإلصاقها بخاتم الرُّسُل ﷺ . وهم - فى هذا الصدد - يتكئون كثيراً على واقعة تعدد الزوجات فى سيرة محمد ﷺ ، يكثرون اللغط حولها ، ويبدأون ويعيدون القول فيها ، ويعدونها مثلبة لا منقبة ،

---

(١) أولاد حارتنا : ٤٢١

obeikandl.com

وعيباً لا كمالاً ، ويحلو لكثير منهم أن يقارنوا بين عيسى ومحمد ، فيقدمون عيسى ويرفعون قدره ، لأنه عزف عن النساء فلم يتزوج قط ، ويحطون من قدر محمد ؛ لأنه - عندهم - زير نساء ، وشهوانى متهالك على الشهوات يقولون هذا وهم يعلمون أن تعدد الزوجات مكرمة لا مذمَّة ، وليس مما يجرح كرامة الرجل ، ولا يحط من شأنه شيئاً ، بل هو - أى تعدد الزوجات - سمة - من سمات الكمال ، وسلامة فى الخَلْق ، واستقامة فى الخُلُق .

ولو كان الأمر قد عُكِس لقالوا إن محمداً عاجز وعقيم ، أو مريض الأعصاب ، فاقد الإحساس ، معتل المزاج ؛ وليس رجلاً يتمتع بكل قواه النفسية والجسمية ، يسيرون مع الأهواء أينما سارت كما قال ابن الرومى يلوم من يمدح عسل النحل مرة ، ويذمه أُخرى تبعاً لهواه :

تقول هذا مُجاج النحل تمدحــه وإن تَعِبْ قلت ذا قيءُ الزنابير ؟!

هذا دأبهم فى إصدار الأحكام ، ونظرتهم المزدوجة للأُمور ، وصدق شاعرنا ، حيث قال :

وعين الرضـا عن كل عيب كليلةٍ ولكن عين السخط تبدى المساويا

هذا ، وقد تابع الأُستاذ نجيب محفوظ هؤلاء الحاقدين على الإسلام ورسول الإسلام ، فغمز فى سيرة محمد ﷺ ، ولمز ، فقال بالحرف الواحد :

● **التعدد فى الرواية** :

« إنه توسع فى حياته الزوجية ، فعلى حبه بدرية - يعنى عائشة - رضى الله عنها - تزوج حسناء من آل جبل - يعنى صفية بنت حُيَىّ بن أخطب من اليهود - وأُخرى من آل رفاعة - يعنى مارية القبطية من النصارى - وتعشَّق امرأة من الجرابيع (١) - يعنى المسلمين العرب - ثم تزوج منها أيضاً » (٢) - يعنى زينب بنت جحش - زوجة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .

---

(١) من قبل كان يطلق على العرب : الجرابيع ، والآن يطلق الجرابيع على المسلمين عرباً أو غير عرب ؟ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٤٣

● **كلمة عن التعدد** :

قبل أن نتصدى لكلام صاحب الرواية نضع بين يدى القارئ كلمة عن تعدد زوجات النبى ﷺ ، وخلاصتها :

أن لهذا التعدد دوافع غير التى ينظر إليها خصوم الإسلام وعملاؤهم .

تلك الدوافع كانت ترجع إلى هذه الاعتبارات :

● دوافع لها طابع اجتماعى كزواجه من صفية بنت حُيَىّ ، فقد وقعت صفية فى الأسر وأبوها من سادة قومه ، فلو تزوجها أو تسَرَّى بها غير النبى لكان فى ذلك حط من قدرها والإسلام يرحم ممن يرحم ثلاثة :

غنياً افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وعالِماً ضاع بين جُهَّال ، فبمواساته لصفية ، وإكرامه لها صارت أُمّاً من أُمَّهات المؤمنين ، ولم يتزوجها الرسول لحسنها كما همز مؤلف الرواية .

● ودوافع إنسانية كزواجه من سودة بنت زمعة وهى امرأة عجوز ، فتزوجها ليكون مأوى وكهفاً لها بعد ترملها ، حيث توفى زوجها بعد العودة من الهجرة الثانية إلى الحبشة ، فصارت بلا عائل ولا قريب لها .

● ودوافع وفاء وتكريم ، كزواجه من السيدة عائشة رضى الله عنها ، وفاء لبلاء أبيها فى الإسلام بلاء حسناً ، وحفصة بنت عمر ، وكم لعمر من أياد بيضاء فى نصرة الإسلام .

وهكذا تجد وراء زيجات المصطفى صلى الله عليه وسلم مقاصد نبيلة ، ولم تكن الشهوة المجردة سبباً فى أى زيجة من زيجاته ، وأياً كان الأمر فإن تعدد الزوجات - مع القدرة - شرف ونبل ، وهو غير تعدد الخليلات فى بيئة خصوم الإسلام من مبشرين ومستشرقين يملؤهم الحقد ، ويُعْميهم التعصب ؟

❊ ❊

● **عود لكلام مؤلف الرواية :**

فى العودة إلى كلام المؤلف نتصدى لمسألة واحدة هى قوله :

« وتعشّق [1] امرأة من الجرابيع وتزوجها أيضاً » ؟

يشير الكاتب إلى قصة زينب بنت جحش ، وخلاصة هذه القصة : أن المسلمين فى بادئ الأمر كانوا يعاملون أبناءهم من التَّبنِّى معاملة أبنائهم من أصلابهم ، فيورثونهم ويعتبرون زوجاتهم محرمات كحرمة زوجة الابن من الصلب ، فأراد الله أن يبطل هذا السلوك ، وضرب لذلك مثلاً عملياً برسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، وكان الرسول يعلم أن زيداً سيطلقها ثم يتزوج هو منها ليكون قدوة لغيره من المسلمين ، كما أخبره ربه ، ودب الخلاف بين زيد وزينب ، وكلما هم زيد بالتطليق نهاه رسول الله ﷺ ، وقال : أُمسك عليك زوجك واتق الله ، وهو يعلم أن المصير هو الطلاق ، ولكن خشى أن يقول الناس إن محمداً حرّض زيداً على طلاق زينب ليتزوجها هو ؟

ولما وقع مما ليس منه بد ، زوَّج الله محمداً زينب ، وتابعه المسلمون ، فلم يعاملوا أبناءهم من التَّبنِّى معاملة أبنائهم من أصلابهم ، وفى ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾ [2] .

لغط المبشرون والمستشرقون حول هذه الواقعة ، وقالوا : إن محمداً لما رأى

---

(١) تأمل كلمة « تعشَّق » تجد لها معنى خبيثاً فهى غير « عشق » ، لأنها تدل على شدة العشق ، وتهالك صاحبه فيه . . ؟!

(٢) الأحزاب : ٣٧ ، أنعم الله عليه : أى بالإسلام ، وأنعمت عليه : أى بالعتق والحرية ، مبديه : مظهره ، وطراً : غرضاً ، أدعيائهم : أبناؤهم بالتبنى .

زينب بعد زواجها من زيد أعجبه حسنها ، وهام فى غرامها ورجا أن يطلقها زيد فتخلو له هو ، وأنه كتم هذا العشق فى نفسه ففضحه الله ، وأظهره للناس : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾ هكذا تصيد خصوم الإسلام هذه التهمة ، وتمسكوا بظواهر الألفاظ ، مع أن الذى كان يخفيه محمد فى نفسه ، هو أن زيداً سيطلق زينب لا محالة ، ثم يتزوجها هو لا محالة ، لكن بشريَّة الرسول غلبت عليه ، فخشى لغط الناس لو أظهر لهم الحقيقة المرادة .

وهل لو كان محمد كما قالوا كان الله يجاريه على هذه « الفعلة » ، ويحرم زيداً من زوجته ليمكن منها محمداً ؟!

وزينب ابنة عمة محمد ﷺ ، فهل من المعقول أنه لم يرها ولم يعرف جمالها إلا بعد زواجها من زيد ، وذوو القُرْبى يتزاورون ويرى بعضهم بعضاً ، وبخاصة قبل نزول آيات الحجاب ، فما أعظم الفرية التى يفتريها خصوم الإسلام ، وما أبعد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » حين يجارى أعداء الإسلام ، ويسد أذنيه عن سماع الحق ، ويغمض عينيه عن رؤيته ، ويلغى عقله عن فهمه ؟ ما أبعده عن الصواب ؟!

ومهما كان الأمر فإن « قاسم » فى رواية الأُستاذ نجيب محفوظ ، هو : محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، رضى محفوظ أم كره ؟

* *

الدليل الثالث عشر - خلافة أبى بكر :

من نافلة القول التذكير بأن أول من خلف رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصِّدِّيق ، الذى ارتضته الأُمَّة ليكون قائداً لها بعد رحيل صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

ومن نافلة القول - كذلك - الإشارة إلى عدل أبى بكر فى الرعية ،

والاقتداء برسول الله ﷺ فى إدارة شئون المسلمين ، ورعاية مصالحهم ، وحملهم على كتاب الله وسُنَّة رسوله الكريم الأمين .

هذه الحقائق معروفة حتى لدى غير المسلمين ، ممن اهتموا بدراسة الإسلام ، وبخاصة فى عصر الرسالة ، وعصر الخلفاء الراشدين .

❊ ❊

● خلافة أبى بكر فى الرواية :

لم تُغْفِل الرواية « أولاد حارتنا » واقعة خلافة أبى بكر الصِّدِّيق عقيب رحيل النبى عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر فى الرواية هو « صادق » كما تقدم .

وكم كُنَّا نود أن تخلو خاتمة الحديث عن « قاسم » من الهمز واللمز والسخرية من قِيَم الإسلام ورجاله الأعلام ، ولكن للأسف الشديد فإن الأُستاذ نجيب محفوظ مؤلف « أولاد حارتنا » يشير إلى خلافة أبى بكر وعدله المضروب به الأمثال وسط هالة من السخرية والازدراء ، وها هى ذى عبارته بالحرف الواحد :

« ستسمع حول الجوزة الدائرة فى الغرز بين الحسرات والضحكات أن « صادق » خلف « قاسم » على النظارة ، فسار (فيها) سيرته » [1] .

إن « صادق » خلف « قاسم » .

هذه الجملة بعد فك الرمزين اللذين فيها تصبح يقيناً هكذا :

« إن أبا بكر الصِّدِّيق خلف محمد بن عبد الله » .

هذا المعنى يعرفه المؤلف حق المعرفة ، ومع هذا تراه يهزأ به ، ويسخر منه ، فيجعله حديث « الغرز » و« الجوزة » الدائرة فى تلك « الغرز » ؟!

❊ ❊

---

(١) أولاد حارتنا ص ٤٤٧

الدليل الرابع عشر - نشأة التشيع لعلىّ رضى الله عنه :

حتى نشأة التشيع لم تغفلها رواية « أولاد حارتنا » وفيها يقول المؤلف :

« . . وأن قوماً رأوا « حسن » - أى علىّ بن أبى طالب - أحق منه - أى من أبى بكر - بالنظارة - أى الخلافة - لقرابته من قاسم ، وأنه الرجل الذى قتل الفتوات ؟ وأنهم حرضوا « حسن » على رفع نبوته الذى لا يقاوم ، فأبى أن يعود بالحارة إلى عهد الفتونة » (١) .

بلا أدنى ريب نرى المؤلف هنا يتحدث عن نشأة التشيع ويذكر أسباب تفضيل علىّ بن أبى طالب على أبى بكر فى نظر الشيعة ، وهى :

● قرابة علىّ من النبى عليه الصلاة والسلام ، لأنهما ابنا عم ، ثم زواجه من فاطمة الزهراء ابنة خاتم المرسلين .

● بلاءُ علىّ فى الحروب وبطولاته النادرة ، وقوة بطشه بالأعداء ، ثم أشار المؤلف إلى إيثار علىّ للمسالمة والحفاظ على وحدة الأُمَّة ، فلم يطع محرضيه على القتال .

فهذه أربعة عشر دليلاً - بل تزيد - على أن « قاسم » فى الرواية هو محمد بن عبد الله ورسول الله إلى العالَمين .

كما تدل على صحة معانى الرموز التى وردت فى هذا الفصل مثل :

زكريا - حسن - صادق - بدرية - قمر - إحسان . . . إلخ إلخ .

❊ ❊

● **تعقيب :**

يحسن بنا - قبل الشروع فى دراسة الفصل الأخير « عرفة » أن نسجل فى إيجاز أبرز النتائج التى أقمنا عشرات الأدلة عليها من واقع رواية « أولاد حارتنا » من المقدمة إلى نهاية الفصل الرابع « قاسم » ، لأن هذه الفصول تمثل وحد واحدة شديدة التماسك ، وتلك النتائج هى :

١ - الجبلاوى فى الرواية هو رمز الأُلوهية (الله) ؟!

٢ - الحارة فى الرواية هى الدنيا بأسرها .

٣ - أولاد الحارة هم بنو آدم منذ خلق آدم إلى تاريخ وضع الرواية .

٤ - أدهم وأُميمة وهمام وقدرى هم : آدم وحواء وهابيل وقابيل .

٥ - إدريس هو إبليس أو الشيطان .

٦ - جبل هو موسى ، وآل حمدان وآل جبل هم اليهود قبل موسى وبعده .

٧ - رفاعة هو عيسى ، وعبدة هى مريم وآل رفاعة هم النصارى .

٨ - قاسم هو محمد ، وقمر خديجة ، وصادق أبو بكر ، وبدرية عائشة ، وزكريا أبو طالب ، وإحسان فاطمة ، وحسن علىّ بن أبى طالب ، والجرابيع هم العرب قبل الإسلام ، والمسلمون بعد الإسلام .

٩ - يحيى هو ورقة بن نوفل .

١٠ - أما الموضوع الذى تحدثت عنه الرواية فى الفصول الأربعة التى فرغنا من دراستها فهو :

« التاريخ الدِّينى النبوى من عهد آدم إلى عصر خاتم الرُّسُل » .

* * *

obeikandl.com